صور القهر الاجتماعي

في روايتي "جوع" للمصري "محمد البساطي"

و"مذكرات بائع الدم" للصيني "يوهوا" (*)

الباحث/ ون يان
دكتوراه في الأدب العربي
كلية الآداب جامعة الإسكندرية

المشرف
أ.د. ناهد أحمد الشعراوى
الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب جامعة الإسكندرية

الملخص:

يتناول البحث من منظور الأدب المقارن صور القهر الاجتماعي في رواية "جوع" للكاتب المصري "محمد البساطي"، ورواية "مذكرات بائع الدم" للكاتب الصيني "يوهوا"، حيث تتشابه أحداث الروايتين في تعدد صور القهر الاجتماعي التي يتعرّض لها أبطال الروايتين؛ من معاناة الفقر والظروف الاقتصادية السيئة، مرورًا بالتهميش وشكل العلاقات الاجتماعية، كما تختلف صور القهر الاجتماعي في بعض الجوانب التي تتعلّق بالاختلافات الثقافية والظروف الاجتماعية بين البلدين، وخلص البحث إلى أن هناك بعض صور القهر الاجتماعي التي تختلف فيها الروايتين؛ منها البطالة والمعاناة فيما يخص تعليم الأولاد وحتى العواطف والزواج، وتأثير الكوارث على الفقراء؛ سواء الكوارث الطبيعية أو الكوارث التي يصنعها الإنسان، بينما تتشابه الروايتان مع بعضهما البعض في بعض صور القهر، مثل الفقر والعلاقات الاجتماعية ومعاناة التهميش، كما أن هناك الكثير من العوامل ساهمت في ذلك القهر الاجتماعي الذي تعرضت له شخصيات الروايتين؛ منها ضعف البنية التحتية في الريف، وتدني مستوى التعليم والخدمات، والتمييز بين المجتمعات الحضرية والريفية.

الكلمات المفتاحية: القهر الاجتماعي – الظلم الاجتماعي – الأدب المقارن – محمد البساطي – يوهوا.

(*) **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٣) العدد (٦) يوليه ٢٠٢٣.**

Abstract :

The research deals –From the perspective of comparative literature- with the forms of social oppression in the novel "Hunger" by the Egyptian writer "Muhammad Al-Bassati" and the novel "Memoirs of a Blood Seller" by the Chinese writer "Yuhua". The research concluded that there are some forms of social oppression in which the two novels differ. From the suffering of poverty and poor economic conditions, to marginalization and the form of social relations, and the forms of social oppression differ in some aspects related to the cultural differences and social conditions between the two countries. The research concluded that there are some forms of social oppression in which the two novels differ. These include unemployment and suffering in terms of children's education and even affections and marriage, and the impact of disasters on the poor; whether natural disasters or man-made disasters, while the two novels are similar to each other in some forms of oppression, such as poverty, social relations, and the suffering of marginalization. There are also many factors that contributed to the social oppression that the characters of the two novels were subjected to. Including poor infrastructure in the countryside, low level of education and services, and discrimination between urban and rural communities.

Key words: social oppression, social injustice, comparative literature, Muhammad Al-Bassati, Yuhua.

المقدمة:

"جوع" هي رواية للكاتب المصري "محمد البساطي"[١]، شخوصها أسرة فقيرة، يحصل أفرادها بالكاد على قوتهم، الذي يكفيهم لأيامٍ قليلة، وبعدها يعود الجوع ليسكن البيت لأيام، "زغلول" بطل الرواية زوج حديث العهد في إحدى القرى المصرية، وهو فقيرٌ لدرجة أنه اضطر لاستعارة حذاءٍ له لينتعله في ليلة

زفافه، وزغلول معتادٌ منذ طفولته على السير حافيًا، وعندما تؤمِّن له زوجته سكينة ذات يومٍ "شبشبًا"، لا يمضي عليه سوى أيامٍ قليلة إلا "وينساه... في مكانٍ ما" دون أن يلاحظ الأمر.

على الرغم من أنَّ الجوع في عائلة زغلول –المكونة من أربعة أشخاص– دائم الحضور، إلى درجة أنَّ ولديه يعانيان من تشنجات في المعدة بسبب الجوع، إلا أنه قلّما يتشاكى أحدٌ من ذلك، وربما تكون الظروف صعبة، إلا أنَّ الزوجين لا يغرقان في اليأس بتاتًا، حيث يجد زغلول عملاً مؤقتًا، ويشتغل نادلاً في مقهى، وأحيانًا يصف الكراسي في خيام العزاء التي يجتمع فيها المعزّون.

يبقى الوضع ما بين جوعٍ دائم، وفترات متقطّعة من الشبع المؤقت حين ينجح زغلول في الحصول على عمل، فتبدأ الزوجة في إعادة ما اقترضته من الجارات من خبز وطعام، لكن زغلول لا يستقرّ في عمل؛ لأنه لا يحب أن يسُبّهُ أحد، فتعود الأسرة إلى الجوع مجددًا، إلى أن تحصل الزوجة على فرصة للعمل كخادمة في بيت أحد الأثرياء، فتنتقل الأسرة إلى ذلك البيت، وتتغيّر حياتهم جميعًا، فالشعور بالجوع يفارقهم، وينامون في فراش مريح بعد النوم على القش، لكن ذلك الحال لا يدوم، إذ يموت صاحب البيت، لتجد الأسرة نفسها تعود إلى الجوع مرّة أخرى في كوخهم البائس.

أما رواية "مذكرات بائع الدم" للكاتب الصيني "يوهوا"[٢]، التي كتبها عام ١٩٩٥؛ فتتناول الصعوبات، التي يواجهها "شيوسان قوان" في الحياة، من خلال بيع الدم، والتغلب على الصعوبات التي فرضها عليه القدر، وعندما كبر، وعرف أنه لا أحد يريد دمه، انهارت روحه. وتصوّر الرواية شظف العيش وضيق الحياة، في شكل قصة شرسة، يعبر فيها الناس عن رغبتهم في البقاء في وجه الهلاك.

وتسعى الرواية للإجابة عن أسئلة وجودية قديمة قِدَم الأزل؛ وهي: ما الهدف من وجود الإنسان؟ وكيف له أن ينجو من صراع البقاء؟ وما هي قيمة

الفرد في الحياة؟ ومن أين يكتسبها؟ ويتناول تلك الأسئلة من خلال حياة البطل عبر مراحلها المختلفة، حيث ينجح في خوض مصاعب الحياة من أجل أبنائه؛ حتى يصل بهم إلى برّ الأمان.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

تأتي إشكالية البحث في إطار السعي من أجل الوقوف على أوجه الالتقاء والافتراق بين الأدب الصيني والأدب المصري المعاصرين، فيما يتعلّق بتناول حياة الطبقة المهمّشة الفقيرة، وملامح القهر الاجتماعي الذي تتعرّض له تلك الطبقة في المجتمعين الصيني والمصري.

ويهدف البحث إلى الإجابة عن عدة تساؤلات؛ وهي: ما هي صور القهر الاجتماعي الذي تعانيه الطبقة الفقيرة في المجتمعين الصيني والمصري كما يصوره الأدب الروائي المعاصر؟ وما هي أوجه التشابه والاختلاف بين الروايتين موضع البحث في تصوير ذلك القهر الاجتماعي؟ وما هي الحلول التي قد يطرحها الفن الروائي لعلاج مظاهر القهر الاجتماعي الواقع على الطبقة الفقيرة في المجتمع؟

الدراسات السابقة:

١- الواقعية الاجتماعية للبيئة الريفية بين رواية الصبي سارق الفجل للكاتب الصيني مويان ورواية يوميات نائب في الأرياف للكاتب المصري توفيق الحكيم:

وهي دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير من الباحثة الصينية "فاطمة لي سيينج" في جامعة الإسكندرية، وهدفت الدراسة إلى دراسة ملامح بيئة الريف بين مصر والصين من خلال نموذجين؛ أحدهما للكاتب المصري "توفيق الحكيم" والآخر للكاتب الصيني الحائز على جائزة نوبل "مويان"، كما عرضت الدراسة تحليلاً للعناصر السردية كالحوار والشخصيات في إطار المنهج المقارن.

٢- صورةُ البطلِ الضد في روايتي (الموبايل) للكاتب الصِّيني (ليو جين يون) و(في كلِّ أسبوع يوم جمعة) للكاتب المصري (إبراهيم عبد المجيد) دراسة مقارنة:

يتناول الباحثان "حسين إبراهيم مرسي" و"نهال عبد العزيز موفق" صورةَ البطلِ الضد في الرِّواية الصِّينيَّة (الموبايل) للأديب الصيني (ليو جين يون)، والرِّواية العربيَّة (في كل أسبوع يوم جمعة) للأديب المصري إبراهيم عبد المجيد. فالبحث يستعرضُ البطلَ الضد وهو بطلٌ مغاير للبطل المتعارف عليه، فهو ليس ببطل إيجابي ذي قيم ومبادئ.. مضحٍ أو شجاع أو غيرها من الصِّفات النَّبيلة، ولكنه بطلٌ مراوغ كاذب، لديه قدرةٌ على التَّلاعب بالشَّخصيَّات الأخرى المحيطة به في عالمه، بطلٌ يؤثِّر سلبًا في كلِّ مَن حولَه من خلال أفعاله وتصرفاته. ويأتي هذا البحثُ في إطار تحليل الروايتين والمقارنة بينهما؛ لإظهار صورة البطلِ الضد في العملين، وكيف استطاع كلٌّ من الأديبين رسمَها.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج المقارن، الذي عرّفه الدكتور "محمد غنيمي هلال" قائلا: إنّ "مدلول "الأدب المقارن" تاريخي، ذلك أنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقّدة، في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثّر، أيًّا كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثر: سواء تعلّقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص، التي تعالج أو تحاكى في الأدب. أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية، والأفكار الجزئية في العمل الأدبي. أو كانت خاصة بصور البلاد المختلفة، كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى، بوصفها صلات فنية تربط ما بين الشعوب والدول، بروابط إنسانية، تختلف باختلاف الصور والكُتّاب، ثم ما يمتّ إلى ذلك بصلة من عوامل التأثير والتأثّر المتبادلين بينها"، وفي ضوء

التعريف السابق أيضًا يكون الغرض من الأدب المقارن هو إيجاد سياق الترويج المتبادل والتنمية المشتركة في عملين أدبيين، وتعترف الأدبيات المقارنة بالاختلافات والتعزيز المتبادل لثقافتين.

بين الطبقية والقهر الاجتماعي

إن مصطلح "الطبقية" تعبير متداول ما بين التاريخ والسياسة، وتعني "امتلاك هويات مختلفة ومواقف وحقوق مختلفة"، وعادة ما تكون هناك علاقة غير متكافئة بين الطبقات المختلفة يظهر فيها الظُلم والقهر المجتمعي، وهناك أيضًا أنواع مختلفة من القهر في المجتمع تحت مظلّة الطبقية الاجتماعية.

ليس في يد البروليتاريا من سلاحٍ من أجل البقاء، يمكنهم فقط بيع قوة العمل أو القوى العاملة، والتوظيف من قِبَل الرأسماليين، والحصول على مبلغ صغير من الأجر يسد رمقهم، هذا الوضع الاقتصادي للبروليتاريا جعل حياتهم غير مضمونة، ووضعَهم حرجًا لفترة طويلة.

إن "القهر الاجتماعي" و"الظلم الاجتماعي" سببان مباشران لكثير من السلوكيات الخطيرة، التي تشكل بمجموعها ما نستطيع تسميته بمجتمع المقهورين، الذين يسعون إلى إثبات الأنا الشخصية، بأية طريقة وبأي وسيلة مسموح بها أو غير مسموح بها، وفي المجتمع المقهور يمارس الجميع القهر والظلم على من هو أدنى منه، ويمتد القهر ليورّث إلى الأجيال اللاحقة.

وفي ضوء تعريف القهر الاجتماعي بوصفه "إرغام المجتمع للفرد على سلوك يخالف اتجاهاته وعقائده وقيمه وميوله... يتخذ القهر الاجتماعي أشكالاً متعددة؛ فهناك القهر عن طريق الحرمان، وهناك القهر من خلال التهميش، وهناك القهر بالجهل وانعدام فرص تعليم الأولاد، وهناك القهر عبر العلاقات الاجتماعية. وهناك القهر عبر الكارثة الطبيعية، وهناك القهر المتمثل في العمل في بيئة اقتصادية سيئة، وهناك القهر عبر العواطف والزواج... إلى آخره"(٣).

هناك العديد من صور القهر الاجتماعي في رواية الكاتب المصري محمد البساطي "جوع" ورواية الكاتب الصيني يوهوا "مذكرات بائع الدم"، وهناك صور متشابهة منه في الروايتين، حيث يتعرض الأشخاص لنفس الضغوط والصعوبات الاجتماعية، وتوجد أيضًا صور مختلفة بينهما، "إن الضغط الاجتماعي هو انعكاس لجوٍّ بيئيّ اجتماعي، أو مشاكل اجتماعية على المستوى الفكري للناس، إنه منتج روحي يؤثر على الوعي النفسي لدى الناس والتوجه السلوكي، وله تأثير كبير محتمل على الناس، ومعتقداتهم، وسعيهم؛ من حيث القيم والأخلاق والجودة"(٤)، ومع ذلك، جعلت هذه الضغوطات حياة البطلين والأسرة في الروايتين صعبة.

١.اختلاف أوجه القهر الاجتماعي في الروايتين

أ.العمل:

منذ العصور القديمة وحتى الوقت الحاضر، تواجه كل دولة في العالم مشكلات في توفير فرصٍ للعمل، فالصين لديها قاعدة سكانية كبيرة، ووظائف قليلة نسبيًا مقارنة بعدد السكان، مما يؤدي إلى وجود العديد من العاطلين عن العمل.

كل من رواية البساطي "جوع" ورواية يو هوا "مذكرات بائع الدم" تحكي قصة عمل البطلين، وكلاهما مهمّشٌ في المجتمع، لكن الاثنين لا يزالان مختلفين جدًا في عملهما، ففي رواية جوع يعيش زغلول في الريف، أما في رواية "مذكرات بائع الدم"، فإن "شيوسان قوان" يعيش على حافة المدينة، كما أن زوجتى بطلي الروايتين مختلفتان تمامًا.

– وتحكي رواية "جوع" أن بطل الرواية هو رب أسرة بدون عمل ثابت، ويُعدّ أبًا غير مسؤول، بسبب عدم وجود وظيفة ثابتة، ولا راتب ثابت.

فالأسرة المكونة من أربعة أفراد تشعر بالملل من الجوع، والنوم طوال اليوم، وطوال العام، "إنه يقضي الليل والنهار إما راقدًا في المندرة، أو قاعدًا على المصطبة، أو يتسكع في السوق، يتسكع الليل بطوله، يقعد مع القاعدين

على المصاطب وفي الزوايا، يقف مع الواقفين، ويسلك أسنانه بعود القش، لا يهش ولا ينش"[٥]، لا يوجد طعام في المنزل، وتحثه زوجته سكينة على البحث عن عمل، ثم يذهب للعمل في أحد المقاهي لكسب بعض المال.

زوجته سكينة ربة منزل، لا تغيّر الملابس التي ترتديها لفترة طويلة كالمعتاد، وتجلس دائمًا على المصطبة الوحيدة في المنزل، لم يكن لديها عمل، وكان عملها الوحيد هو أن تخبز في المنزل كلما تيسّر الأمر، ولكن لأن زوجها زغلول لا يخرج للعمل معظم الأحيان، لذلك لم يكن لديها نقود في المنزل، ولم تستطع جلب الطحين، لذا لم تستطع صنع خبز، وكان عليها أن تطلب من جيرانها استعارة رغيفين، بالطبع، مرة واحدة بسبب الجوع، ذهبت إلى المنزل الكبير المقابل للقيام بأشياء متنوعة، للحصول على بعض الطعام.

الطفلان في الأسرة يبلغان من العمر تسع سنوات واثني عشر عامًا، منذ البداية وحتى نهاية القصة، لم يُذكر سوى أن الابن الأكبر يذهب غالبًا إلى الأصدقاء لطلب بعض الخبز من منزلهم، من هنا يمكن أن نتخيل مستقبل الابن الأكبر، الذي قد يعمل في مقهى مثل والده زغلول، وقد يعيد مأساته.

في رواية "مذكرات بائع الدم" نجد الأمر مختلفًا، شيوسان قوان هو زوجٌ مسؤول للغاية، وأب مسؤول تجاه الأسرة والزوجة والأطفال، لديه وظيفة ثابتة في المدينة، يعمل في مصنع الحرير، وعلى الرغم من العمل في المدينة، إلا أنّ راتب هذه الوظيفة لا يكفي لإطعام هذه العائلة.

لذلك اضطر إلى إيجاد "وظيفة خاصة"، وهي بيع الدم، باع دمه اثنتي عشرة مرة من أجل أسرته، أما شيويولان زوجة شيوسان قوان فقد "كانت بائعة بأحد الأكشاك القريبة من المصنع، كانت تقف يوميًا في الصباح الباكر، أمام قِدْر قلي كبير الحجم، لإعداد الزلابية المقلية، تنادي على بضاعتها بصوت جهوري"[٦]، وظيفتها مثل بائع الخبز في شوارع مصر، أما بعد الزواج، فقد أصبحت مجرد ربة منزل، تطبخ في المنزل كل يوم، وتعتني بزوجها وأبنائها الثلاثة.

لقد قام شيوسان قوان بتعليم أبنائه الثلاثة، وبفضل جهود شيوسان قوان، حصل الأطفال الثلاثة على وظائفهم التي ساعدتهم على تكوين أسرهم، "انتقل ابناه "إي له" و"إرله" إلى المدينة منذ ثماني سنوات وست سنوات على التوالي، استلم إي له عمله بإحدى شركات الأغذية، بينما عمل إرله بائعًا بأحد متاجر الخردوات بجوار مستودع الأرز، وتزوج أبناؤه الثلاثة وأنجبوا"(٧).

من حيث العمل، لم يكن لدى عائلة زغلول وظيفة، لذا فالحياة صعبة للغاية من البداية إلى النهاية، لم يكن لديه أبدًا أفكار وأفعال لتغيير مصيرهم كفقراء، وكانوا يعيشون أيامًا على اقتراض الخبز من الجيران في الحي.

أما عائلة شيوسان قوان فكانت لها وظائفها الخاصة حتى النهاية، على الرغم من أن حياتهم ليست غنية جدًا، إلا أن احتياجاتهم في الحياة يمكن أن تكون مرضية ذاتيًا.

فكلا العائلتين من العائلات المهمشة، لكن النهايات مختلفة للغاية، ولا تزال بسبب العمل، إذ يُعدّ العمل كمصدر دخل أساس بقاء الأسرة، لماذا توجد فجوة كبيرة كهذه؟ إن الأمر متعلّق إلى حد كبير برب الأسرة في هذه العائلة، زغلول هو رجل كسول ولا يعمل من أجل عائلته وغير مسؤول عن نفسه، من المتصور أن أطفاله يرغبون في التسكع في الشارع كل يوم مثله في المستقبل، ويمكنهم العمل فقط في المقاهي لكسب بعض المال لشراء الخبز، أما جهود شيوسان قوان سواء كانت في العمل في مصنع الحرير أو بيع الدم، فكانت من أجل إرضاء أسرته.

ب. <u>العواطف والزواج:</u>

حول القهر والضغط من خلال الزواج والعواطف، ففي رواية "مذكرات بائع الدم" نجد هناك قاعدة غير مكتوبة في قرية العم الرابع لشيوسان قوان، وهي أن المال المجلوب من بيع الدم هو المسوّغ للحصول على الزوجة، بيع الدم مرة يثبت أنك بصحة جيدة، بيع الدم يمكن أن يجلب ٣٥ يوانًا (RMB)، إنه الضغط من أجل الزواج من زوجة في مجتمع حقيقي، فالاضطهاد في الريف

بدون أساس علمي يدفعهم لبيع الدم، ونتيجة لذلك توفي العديد من الشباب في وقت مبكر، بسبب بيع الدم، ولم يكن بطل الرواية شيوسان قوان استثناءً، فقد بدأ في كسب المال عن طريق بيع الدم لإثبات أنه كان شابًا قويًا، استخدم هذا المال للزواج من شيويولان برغم أنها كانت مخطوبة لغيره.

أما زغلول في رواية جوع فيضطر للسير حافي القدمين بسبب الفقر، وفي يوم زفافه، اضطر أن يطلب من صديقه اقتراض زوج من الشبشب، يمكن ملاحظة أن زواج الفقراء لا يزال يمثل ضغطًا كبيرًا للغاية.

لدى أبطال الروايتين مشاعر مختلفة تجاه الزوج أو الزوجة، زوجة زغلول سكينة تعيش حياة جائعة مع زوجها، ولم يشتكِ أي منهما، زغلول لم يضرب زوجته قط خوفًا من أن تغضب، ويمكن القول إن العلاقة بينهما متناغمة للغاية، حياة شيوسان قوان كانت سعيدة؛ مثل أكل العسل في بداية الزواج، أنجبت زوجته ثلاثة أبناء له، لكن بعد أن كبر الابن الأكبر "إي له"، قال الجيران إن "إي له" لا يشبه شيوسان قوان، لكنه يبدو مثل صديق زوجته السابق، وتحت هذه الضغوط العاطفية عاش شيوسان قوان فترات مضطربة مع زوجته، لكن نهاية القصة تخبرنا أنه لا يزال يتعين علينا قبول ومواجهة الضغط عندما نتعرّض له.

ج. <u>تعليم الأولاد:</u>

"من حقّ الطفل أن يحظى ببيئة تربويّة تلائمه، وقبل أن تكون البيئة التعليميّة ذات مستوى راقٍ، فإن التربية الصحيحة هي مفتاح التعليم القويم. وفي البيئة التربويّة السليمة، يتمّ استخدام أحدث النظريات والوسائل التربويّة، للنّهوض بمستويات الأطفال، وطبقاتهم الاجتماعيّة كافّةً، وهذا لا يعني أن تُلقى المهمّة كلّها على عاتق المدرسة وحدها، بل إنّ للأسرة دورًا كبيرًا، من خلال السماح لهم بإبداء آرائهم في عمليّة تغيير المناهج الدراسية، وتقويمها بما يرونه مناسبًا، وتشجيعهم على ذلك، وهذا له أهميّة كبيرة للارتقاء بشخصيّة أطفالهم نحو الأفضل؛ فالأب المُتفهّم يستطيع أن يدعم طفله ويعطيه ثقةً بنفسه، وهكذا

فإن المدرسة والأسرة عندما تجتمعان تُحقّقان توافقًا نفسيًا واجتماعيًا للطفل، ويمنحانه حقّه في التعليم"[٨].

تنقسم رواية جوع إلى ثلاثة فصول: الزوج، الزوجة، الابن، في بداية هذه الأجزاء الثلاثة يتكرر الموقف:

الجلوس على المصطبة كالمعتاد، قد يكون هذا بسبب أن المؤلف يريد التعبير عن أنه ليس لديهم ما يفعلونه، سوى الجلوس على المصطبة للتضور جوعًا، وكذلك إظهار وضع الفقراء في الريف المصري، في ذلك الوقت .

زغلول إما يتجول كل يوم، أو يعمل في مقهى... إلخ، ومع ذلك، أثناء العمل في المقهى، جذب العديد من طلاب الجامعات انتباه زغلول، ما جذبه كان التحرّق للمعرفة، شيء جديد لم يتعلمه زغلول أو يسمعه في الريف والمنزل، في كل يوم تقريبًا، كان يجد بعض طلاب الجامعات يتحدثون في المقاهي في القرية، من هذا الجانب يظهر أن زغلول لا يزال يرغب في معرفة جديدة ومجالات جديدة، لكن ذكر تعليم الأطفال يجعل زغلول بالتأكيد والدًا غير مسؤول، إذ لم يذهب ابنه الأكبر إلى المدرسة، بل كان يلعب مع الأطفال في القرية كل يوم، ويطلب الطعام من الأصدقاء، كان المؤلف يريد أن يخبر القراء من جانب أن الأطفال الفقراء ما زالوا فقراء، ومن جانب آخر أنّ الفقراء لا يستطيعون القراءة، فغاية المؤلف هي تغيير المعاملة غير العادلة، من خلال وصف حياة زغلول، يقدم المؤلف معضلة ومعاناة الأشخاص المهمشين في المجتمع، وينتقد مجتمع الدولة لعدم الاهتمام بالتعليم في الريف.

أما شيوسان قوان فكان أولاده الثلاثة متعلمين، وذهبوا إلى المدرسة للدراسة، هناك قول مأثور في الصين: "المعرفة تغيّر المصير"، لقد عانى شيوسان قوان طوال حياته ليوفر لهذه العائلة السعادة، كما أنه كان واعيًا إلى أن تعليم الأطفال يمكنه تغيير مصيرهم، لكي لا يلجأ أحدهم لبيع الدم.

جميعهم مهمشون اجتماعيًا، لكن نهايات الأطفال مختلفة جدًا، ابن زغلول لا يزال يلعب حافي القدمين مع الأطفال الآخرين، ولا يزال الجوع معاناته

اليومية، بينما كان لدى جميع أطفال شيوسان الثلاثة عمل موثوق به، وتزوجوا واحدًا تلو الآخر ليكوّنوا عائلة، هذه هي الفجوة في التعليم.

د. الكارثة الطبيعية والكارثة من صنع الإنسان:

عند مواجهة الكوارث الطبيعية، والكوارث التي من صنع الإنسان في الماضي، كان الناس مجبرين على قبول نتائجها، أما الآن، فبسبب التحسين المستمر للعلم، والتكنولوجيا في التعليم، والتكنولوجيا الطبية، لا تزال هناك فرصة للتخفيف من عواقب الكوارث.

معظم الكوارث البشرية كانت في رواية جوع، تشير الكوارث البشرية هنا إلى الواقع الاجتماعي وإهمال المسئولين في الدولة لسكان الريف، زغلول ليس لديه عمل، ولا طعام كافٍ، ولا ملابس إضافية، ولا تعليم، ولا سرير في المنزل.

هناك كوارث بشرية وطبيعية أيضًا في رواية "مذكرات بائع الدم"، كانت الكارثة التي صنعها الإنسان؛ أن الابن الأكبر لشيوسان قوان أصيب بالتهاب كبدي فجأة، بينما الكارثة الطبيعية كانت عندما غرقت المدينة بأكملها، عندما تكون أسرة شيوسان قوان فقيرة بالفعل، في ظل هذه السلسلة من الكوارث، لم يكن راتب شيوسان قوان كافيًا لإعاشة عائلته، وتحت ضغط أفراد الأسرة والكوارث والواقع، باع شيوسان قوان الدم أكثر من عشر مرات من أجل حماية هذا البيت.

– يستخدم المؤلفان قصصًا خيالية لوصف الأحداث الحقيقية للبروليتاريا في الماضي أو الحاضر في الحياة الواقعية، مواجهة عائلتي الرجلين للكوارث الطبيعية، والكوارث من صنع الإنسان، وليس ثَمّ من خيار، إما أن يجوع، أو يبيع الدم لكسب المال.

هـ– الثورة الاجتماعية:

"الثورة كمصطلح سياسي هي الخروج عن الوضع الراهن، وتغييره باندفاع، يحركه عدم الرضا، أو التطلع إلى الأفضل، أو حتى الغضب. والثورة تدرس على أنها ظاهرة اجتماعية تقوم بها فئة أو جماعة ما هدفها التغيير وفقا

لأيدولوجية هذه الفئة أو الجماعة، ولا ترتبط بشرعية قانونية، كما تعبر عن انتقال السلطة من الطبقة الحاكمة إلى طبقة الثوار"[٩].

"تشير الثورة الاجتماعية إلى تغيير كبير يقوم فيه الناس بتغيير المجتمع، في المجتمع الطبقي، الثورة الاجتماعية هي الاتجاه الحتمي والتعبير المركّز عن الصراع الطبقي"[١٠]، يواجه بطل الرواية أيضًا الثورة الاجتماعية في البلاد، عندما يواجه المعاناة: عام الكومونات الشعبية، عام القفزة الكبرى، عام صهر الحديد، الحركة السياسية، التحول الاجتماعي، تسببت هذه الفترة الخاطئة من الثورة في لقاء بطل الرواية، لم تجلب هذه الثورات الاجتماعية السعادة للشعب فحسب، بل جعلت حياة عائلة شيوسان قوان بائسة، وعاشت حياة جائعة كل يوم.

في رواية جوع، كان المجتمع المعاصر الذي يحيا فيه زغلول مستقرًا نسبيًا، ودون قمع الثورة الاجتماعية، لذلك، لم يعانِ زغلول المعاناة التي سببها القمع الثوري، وما كان يقابله دائمًا؛ هو أن صعوبة الموارد المالية، التي تجعل الأسرة تجوع كل يوم.

إذا كانت هناك ثورة اجتماعية، فيمكن تخيل أن بطل الرواية زغلول قد يكون أول شخص مات خلال الثورة، بالطبع، لا يمكن إلا لمؤسسة اقتصادية معينة، أن تواجه المصاعب التي جلبتها الثورة الاجتماعية.

سواء واجهت أي دولة أو أي قومية ثورة اجتماعية غير علمية، ناقصة وغير مكتملة، فإن النتيجة النهائية ستكون الفشل، سوف تتسبب في خسائر اقتصادية كبيرة للبلاد، وتجلب صعوبات كبيرة للناس في الحياة.

في ظل قمع الثورة الاجتماعية؛ نجت عائلة شيوسان قوان يومًا بعد يوم. ومع ذلك، لا يزال هناك آلاف العائلات المختفية في هذه الثورة، فحينما تندلع الثورات تكون هناك تضحيات، ولكن لا يمكننا السماح للكثير من الناس بالتضحية ببراءة.

٢ .التشابه:

بعد قراءة الرواية المصرية جوع، كان الانطباع الأول هو أن الخلفية الاجتماعية لهذه الرواية، والشخصيات الرئيسة فيها ووضعها العائلي، متشابه إلى حد كبير، مع تلك الرواية الصينية "مذكرات بائع الدم"، كلهم يحيون حياة عائلة هامشية اجتماعيًا، يمارسون حياة بسيطة ويمثلون معاناة الناس الذين تجاهلهم المجتمع بأسره.

أ. الاقتصاد:

"الاقتصاد هو خلق القيمة وتحويلها وإدراكها، والأنشطة الاقتصادية البشرية، هي الأنشطة التي تخلق وتحول وتحقق القيمة، وتلبي احتياجات الحياة المادية، والثقافية البشرية"(١١)، سواء كان في الماضي أو الآن، يؤثر الاقتصاد على احتياجات الناس الطبيعية، وأكبر ضغوط يواجهها الناس في حياتهم؛ هي المشكلة الاقتصادية.

تحكي بداية الرواية "جوع" مباشرة عن الوضع في عائلة زغلول، أسرة مكونة من أربعة أفراد، يجلسون وينامون على المصطبة، والمكان الوحيد في منزلهم للراحة هو هذه المصطبة. فجوات كبيرة في واجهة البيت، جرى ترقيعها بالأسمنت، ويكشف المؤلف عن الوضع الاقتصادي لزغلول، في بضع جمل بسيطة أنه: "ضعيف للغاية".

دعونا نلقي نظرة على وصف المؤلف للوضع الراهن لعائلة زغلول: الزوج لم يكن لديه حذاء لارتدائه، ويمشي حافي القدمين، وقت الراحة أطول بكثير من وقت العمل، يعمل في المقهى لمدة ثلاثة أيام، ويبقى عاطلاً لمدة عشرة أيام. غالبًا ما يجلس على مقعده الحجري ويفكر، غالبًا ما يكون جائعًا، ولا يعرف ما يفكر فيه. اعتنت الزوجة بالأطفال في المنزل، ذات مرة لم يكن هناك شيء يأكلونه في المنزل، لكنها عملت في المنزل الكبير، المقابل لمنزلهم، للحصول على بعض الطعام، إما أن تقوم عائلة زغلول بعمل خشن وتنظف بيت العائلة الغنية، أو تجلس جائعة على المصطبة في المنزل.

في رواية مذكرات بائع الدم نجد شيوسان قوان مزارعًا عاديًا وفقيرًا، ومن أجل تغيير مصيره والحفاظ على حياته، أجرى العديد من معاملات "بيع الدم"، ترتبط هذه التدابير ارتباطا وثيقًا بالبيئة الاجتماعية، والنظام الاقتصادي في ذلك الوقت.

في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، تطورت الإنتاجية الاجتماعية ببطء، كانت مستويات معيشة الناس سيئة نسبيًا، والنظام الاقتصادي واحدًا نسبيًا، لقد تمكن جزء كبير من حياة الناس للتو من حل مسألة طعامهم وملابسهم، ولكن عندما يواجهون كوارث طبيعية أو ثورات اجتماعية خاطئة، فإن حياتهم ستكون محاصرة، لذلك، لا يمكن ضمان حياة عدد كبير من المزارعين، ولا يمكن تلبية بعض احتياجاتهم، لم تعد غالبية هذه الظروف مقبولة من غالبية المزارعين، لذلك ذهب عدد كبير من المزارعين إلى المستشفيات، لكسب العيش وتغيير حياتهم عن طريق بيع الدم، بالطبع بطل الرواية شيوسان قوان ليس استثناءً.

بطبيعة الحال، فإن سرعة التنمية في بلد ما تقاس أيضًا بالاقتصاد الوطني، بسبب الأساس الاقتصادي غير المستقر لزغلول وشيوسان قوان، فإن حياتهما دائمًا صعبة ولا يمكنهما تحمل نفقاتهما.

ب. العلاقات الاجتماعية:

"في العلوم الاجتماعية، تعرّف العلاقة الاجتماعية أو التفاعل الاجتماعي، بأنها: أية علاقة تنشأ بين فردين أو أكثر"[١٢]، وفي الروايتين، ينعكس المزيد في العلاقات بين الجيران.

فيمكن أن نرى من الروايتين؛ أن الناس في المناطق الريفية يتواصلون بسهولة مع بعضهم البعض، هذا لأن الجيران في الريف يعرفون كل شيء بشكل أساسي، على عكس المدينة، فالكثير منهم لا يعرفون بعضهم البعض، ومقارنة بسكان المدينة، يتمتع سكان الريف بوقت فراغ أكثر، حتى يتمكنوا من الدردشة مع بعضهم البعض إذا لم يكن هناك ما يفعلونه.

تقول رواية جوع إن زغلول يساعد العريس في القرية على نقل الأثاث، والأطفال والنساء في الحي لديهم فضول لمتابعة الشخص الذي ينقل الأثاث، كما أن سعادة سكان الريف بسيطة للغاية.

ومع ذلك، تكون هناك شائعات بين الجيران، على سبيل المثال، اكتشف شيوسان قوان أن ابنه الأكبر لم يكن ابنه الحقيقي؛ بفعل انتشار الشائعات بين الجيران.

في ظل الظروف العادية، تربط جيران سكان الريف علاقة جيدة جدًا، ويعلم الجميع في القرية، أن زغلول فقير وعاطل في المنزل، لكنهم على استعداد لإعارة الخبز لزوجة زغلول، في كل مرة يعطي الزوج لزوجته "سكينة" نقودًا، تعيد سريعًا الخبز الذي اقترضته سابقًا إلى الجارات، ولأن الابن الأكبر لشيوسان قوان كان مريضًا واضطر للذهاب إلى شنغهاي لرؤية الطبيب، وجمع الجيران المال لشيوسان قوان رغم ظروفهم الصعبة؛ ليجلب لـ"إي له" طبيبًا.

كما تذكر رواية مذكرات بائع الدم نوعًا من العلاقة الاجتماعية، مع قيادة "إر له" الولد الأوسط لشيوسان قوان، سمع شيوسان قوان أن رئيس ابنه في العمل جاء إلى المدينة، ولم يكن هناك شيء لدى العائلة حتى يدعو مدير ابنه كضيف، لم يكن أمام شيوسان قوان خيار سوى بيع الدم لكسب المال، ثم ذهب لشراء اللحوم والخضروات والنبيذ والسجائر، ودعا مدير ابنه ليكون ضيفًا، حتى يتمكّن من نقل عمل ابنه من الريف إلى المدينة في وقت لاحق.

ج. التهميش:

إن الفئات المهمشة تتعرض دائمًا لقمع طويل الأمد أو معاملة غير عادلة، ومع ذلك، عندما يعاني بلد ما من عدم استقرار سياسي أو أزمة اقتصادية حادة، يكون الفقراء أول الضحايا.

وتعتبر المناطق الريفية، موضوعًا يثير الكثير من القلق في العالم في العصر الحديث، مع وجود عدد كبير من السكان وضعف القوة الاقتصادية؛ لأن تطوّر وسائل الإعلام يُظهِر دائمًا على الإنترنت أن بعض الناس لا

يمكنهم البقاء على قيد الحياة بسبب الفقر.

وفي بعض الأماكن؛ يقع عدد كبير من الوفيات بسبب نقص المياه والكهرباء والغذاء، وكان زغلول من المزارعين المهملين، وهناك عدة أسباب لتهميش المناطق الريفية، منها:

١. طول المسافة بين الريف والمدينة نسبيًا.

٢ . ضعف البنية التحتية الريفية والنقل غير مريح.

٣ . مستوى التعليم في المناطق الريفية منخفض، والذي يتناقض بشكل حاد مع المدن.

تسببت هذه السلسلة من الأسباب في بقاء المستوى الاقتصادي الريفي في حالة: فقر وتخلف، وهذا هو السبب أيضًا في اعتياد عائلة زغلول على الشعور بالجوع، واعتيادها على عدم الحصول على ما يكفي من الطعام، والاعتياد على منزل بدون سرير، واعتياد المشي بدون حذاء، وعلى الرغم من أن شيوسان قوان مقيم في المدينة، فهو أيضًا على حافة المدينة، وليس لديه رعاية سياسية، ولا أساس اقتصادي غني.

إذا كان الجميع يجلس فقط على المصطبة، ويفكر ولا يعمل مثل زغلول في الرواية، فسيكون هناك دائمًا الكثير من الناس في هذا المجتمع، الذين لا يستطيعون تغيير الوضع "الفقير" لأجيال، إن التهميش ليس رهيبًا، ولكن ما يجعله رهيبًا، هو أن يتخلى المهمشون عن تغيير وضعهم الهامشي الراهن.

خاتمة البحث

تروي كلا الروايتين أحداث الحياة اليومية للشخصيات الاجتماعية الهامشية، وكلاهما يعبر عن الصعوبات والمصاعب التي يواجهها الأشخاص ذوو المستوى المنخفض مع كون الأسرة هي المركز، وكشف المشكلات الحقيقية وعيوب المجتمع، وتنبيه الدولة والمجتمع، إلى ضرورة الاهتمام بهذه الفئات الفقيرة، والعناية بها، وجذب انتباه العالم كله.

بطلا الروايتين كلاهما من قاع المجتمع، لكن النهايات مختلفة تمامًا،

كل ما حدث مع زغلول في رواية جوع، يبدو أنه في حالة جامدة؛ لأن حياته لم تتغير، والأسرة كلها تتضور جوعًا من البداية إلى النهاية، وشيوسان قوان من خلال بيع الدم، عبر كل الصعوبات، وأخيرًا حصل على حياة سعيدة للعائلة.

وقد توصّل البحث للإجابة عن التساؤلات التي طرحها الباحث في المقدمة، حيث تتشابه أحداث الروايتين في تعدد صور القهر الاجتماعي التي يتعرّض لها أبطال الروايتين؛ من معاناة الفقر والظروف الاقتصادية السيئة، مرورًا بالتهميش وشكل العلاقات الاجتماعية، كما تختلف صور القهر الاجتماعي في بعض الجوانب التي تتعلّق بالاختلافات الثقافية والظروف الاجتماعية بين البلدين، وخلص البحث إلى أن هناك بعض صور القهر الاجتماعي التي تختلف فيها الروايتين؛ منها البطالة والمعاناة فيما يخص تعليم الأولاد وحتى العواطف والزواج، وتأثير الكوارث على الفقراء؛ سواء الكوارث الطبيعية أو الكوارث التي يصنعها الإنسان، بينما تتشابه الروايتان مع بعضهما البعض في بعض صور القهر، مثل الفقر والعلاقات الاجتماعية ومعاناة التهميش.

كما توصل البحث إلى أن الروايتين تطرحان حلولا لمشكلات القهر الاجتماعي تمامًا كما تعرض مظاهرها؛ إذ يظهر من خلال قراءة الروايتين – بوصفهما عملين أدبيين ينتميان إلى مجتمعين مختلفين ثقافيًا وبعيدين جغرافيًا– أن الظلم والقهر الاجتماعي من أهم أسباب الفقر والتخلّف، وأن الوسيلة الوحيدة للتخلص من آثار الظلم الاجتماعي ورسم مستقبل أفضل للأجيال القادمة هو السعي والكفاح لا التراخي والاستسلام للأمر الواقع.

الهوامش:

١. أديب مصري، هو محمد إبراهيم الدسوقي البساطي، ولد في بلدة الجمالية المطلة على بحيرة المنزلة بمحافظة الدقهلية، وحصل على بكالوريوس التجارة عام ١٩٦٠م، عمل مديرًا عامًا بالجهاز المركزي للمحاسبات، ورئيسًا لتحرير سلسلة "أصوات" الأدبية التي تصدر في القاهرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، وتدور معظم أعماله في جو الريف، من خلال التفاصيل الدقيقة لحيوات أبطاله المهمشين في الحياة، نشر البساطي أول قصة له عام ١٩٦٢م، من رواياته: "المقهى الزجاجي"، "الأيام الصعبة"، "بيوت وراء الأشجار"، ومن مجموعاته القصصية: "الكبار والصغار"، "منحنى النهر"، "هذا ما كان".

٢. كاتب صيني معاصر، وُلد في هانغتشو بمقاطعة تشجيانغ، في أبريل ١٩٦٠، عضو اللجنة الوطنية التاسعة لاتحاد الكتاب الصينيين، عندما كان عمره ٣ سنوات، انتقل إلى "حيان" مع والديه، وبعد الانتهاء من المدرسة الابتدائية والمتوسطة في حيان، درس الطب وعمل طبيب أسنان، لمدة خمس سنوات، بدأ الكتابة عام ١٩٨٣، وأنتج أربع روايات وست مجموعات قصصية، ما بين قصيرة ومتوسطة، وثلاث مجموعات مقالات، تُرجمت أعماله إلى أكثر من عشرين لغة، ونُشرت في حوالي ثلاثين دولة، من أعماله: "الإخوة"، "على قيد الحياة"، "الصراخ في الرذاذ"، "مذكرات بائع الدم".

٣. القصراوي، علاء، مقال، موقع صوت العروبة، ١٨ مارس ٢٠١٧.

٤. مين، فو كي وبينغ، تشو، تحليل الضغط الاجتماعي وأسبابه الجذرية التي تؤثر على تنمية قيم الشباب، العدد ٤ ، ٢٠٠٨ م

٥. الرواية "جوع":ص٤

٦. الرواية:"مذكرات بائع الدم" ص٣٩-٤٠

٧. الرواية: "مذكرات بائع الدم" ص٣٧١

٨. غرايبة، فيصل، (١-١٢-٢٠١٢)، "كيف تنشئ المدرسة شخصيّة الطفل"، alrai، اطّلع عليه بتاريخ ٢٩-١-٢٠١٨. بتصرّف.

٩. تهامى، مروة، المشاركة السياسية للمرأة في ثورتى مصر وليبيا ٢٠١١، دراسة أنثروبولوجية ميدانية مقارنة، ص٧، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٣.

١٠. رئيس تحرير دنغ ويتشي، القاموس الاجتماعي ،ص٢٣، دار شنغهاي للنشر المعجمي، ٢٠٠٩، ص٩.

١١. تشينغ، تشن شي، التفسير الاقتصادي وإعادة الإعمار في الصين، بكين: مطبعة الصين تايمز الاقتصادية، ٢٠٠٩-٧ [١-٢]

١٢. معلومات عن علاقة اجتماعية على موقع"id.loc.gov .مؤرشف من الأصل في ٢٨ مايو ٢٠١٠

المراجع:

البساطي، محمد، جوع (رواية)، دار الآداب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

تشينغ، تشن شي، التفسير الاقتصادي وإعادة الإعمار في الصين، بكين: مطبعة الصين تايمز الاقتصادية، ٢٠٠٩-٧ [١-٢].

تهامي، مروة، المشاركة السياسية للمرأة في ثورتى مصر وليبيا ٢٠١١، دراسة أنثروبولوجية ميدانية مقارنة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٣.

رئيس تحرير دنغ ويتشي، القاموس الاجتماعي: دار شنغهاي للنشر المعجمي، ٢٠٠٩.

سيينج، فاطمة لي، الواقعية الاجتماعية للبيئة الريفية بين رواية الصبي سارق الفجل للكاتب الصيني مويان ورواية يوميات نائب في الأرياف للكاتب المصري توفيق الحكيم، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠١٩، جامعة الإسكندرية.

غرايبة، فيصل (١-١٢-٢٠١٢)، "كيف تنشئ المدرسة شخصيّة الطفل"، alrai، اطّلع عليه بتاريخ ٢٩-١-٢٠١٨.

القصراوي، علاء، مقال، موقع صوت العروبة، ١٨ مارس ٢٠١٧.

مرسي، حسين إبراهيم وموفق، نهال عبد العزيز، صورةُ البطلِ الضد في روايتي (الموبايل) للكاتب الصِّيني (ليو جين يون) و(في كلِّ أسبوع يوم جمعة) للكاتب المصري (إبراهيم عبد المجيد) دراسة مقارنة، مجلة جامعة مصر للدراسات الإنسانية، يوليو ٢٠٢٣، مج٣، ع٣، ص٢١٧.

مين، فو كي وينغ، تشو، تحليل الضغط الاجتماعي وأسبابه الجذرية التي تؤثر على تنمية قيم الشباب، العدد ٤ ، ٢٠٠٨م.

يو هوا، مذكرات بائع الدم، ترجمة د. حسين فهمي حسانين، ٢٠١٦م.